الأستاذة: لمياء عيطو

مقياس: النص الأدبي الحديث

المحاضرة موجهة لطلبة السنة الثانية دراسات أدبية (الفوج 03/02/01)

المحاضرة الثامنة: المقالة

المقالة:

نوع من الأنواع الأدبية النثرية تدور حول فكرة واحدة، تناقش موضوعاً محدداً، أو تعبر عن وجهة نظر ما، أو تهدف إلى إقناع القارئ بفكرة معينة، أو إشارة عاطفة عندهم، ويمتاز طولها بالمحدودية، ولغتها بالسلاسة والوضوح وأسلوها بالجاذبية والتشويق.

يذهب البعض إلى أن فن المقال سليل الثقافة العربية فأرجعوها إلى ما أنشأه العرب من خطب ومقامات، وفصول ورسائل ...وليس ظهورها إلا عودة إلى الأصول العربية القديمة، وذهب أنصار هذا الموقف إلى ارتباط المقالة الحديثة بالفنون القديمة خاصة فن الترسل على أن الذي يراجع آثار المترسلين والخطباء قديما، لا يسعه إلا أن يرى فرقا بينا بينها وبين المقالة الحديثة، سواء أكان ذلك في الأسلوب أو الموضوع وغني عن البيان أن المقامة والخطبة لا يصح إدخالهما في باب المقالة، وإذا كان شيء من آثار القدماء يجوز إدخاله في هذا الباب، فإنما هو الرسالة.

ومنه فإن المقالة سليلة فن الترسل خاصة الترسل الأدبي لكون كليهما يحظى بحرية الكاتب في التعبير هذا حسب وجهة نظر البعض، ولكن المقالة في الأدب العربي مختلفة بطبية الحال عما كان يعرف قديما بالرسالة، فقد تأثر كتاب المقالة الحديثة بالاتجاهات السائدة في الآداب الغربية، وفي الحق أن تاريخ المقالة العربية الحديثة متصل اتصالا وثيقا بتاريخ الصحافة في الشرق الأوسط، ومعنى ذلك أنه يرجع إلى غزو نابليون بونابارت للشرق ووجود المطابع الحديثة وإنشاء الصحف.

كان للعصر الحديث والصحافة والطباعة الفضل الكبير في دخول هذا الفن إلى الحضارة العربية إذ ذهب العديد إلى القول بارتباط فن المقال في أدبنا الحديث بتاريخ الصحافة في بلادنا، وهو فن جديد نشأ في أدبنا الحديث بتأثير اتصالنا بآداب الغرب، من خلال هذا يتضح لنا أن الصحافة هي مهد المقال والأرض الخصبة الذي نمى وترعرع فيها، فكان مسايرا للتقلبات الحاصلة، ولسان الأحزاب السياسية معبرا عن مواقفها وأفكارها يدور في الغالب حول الموقف السياسي وما يعرض فيه من الأحوال والتقلبات والإصلاح الاجتماعي بوجه عام، ومحاولته إيجاد وعي قومي، وحينما تألفت في مصر الأحزاب السياسية، رأى زعماء الأحزاب يكون لكل حزب جريدة تعبر عن وجهة نظره وتؤيد مبادئه، وكان يراعي

في كتابة المقال الافتتاحي المبادئ الأساسية التي تألف من أجلها الحزب، وقد ظهر المقال الأدبي إلى جانب المقال الصحفي.

بظهور هذا الفن ظهر العديد من الكاتب فتنوعت يذلك المقالات حسب توجه كل كاتب أما المقالة الأدبية الخالصة تظهر عل صفحات الجرائد إلا في أوائل القرن العشرين ومن كتابها مصطفى لطفي المنفلوطي وكان ينشر مقالاته تحت عنوان النظرات في جريدة المؤيد، ثم تدفق بعد ذلك سيل المقالات الأدبية بأقلام طه حسين وهيكل والرافعي ومن جاء بعدهم، وقد كان للمعارك الأدبية أثرها في هذا اللون من المقال كالمعركة التي كانت بين طه حسين والرافعي، وكانت بين الرافعي وسلامة موسى، وبين أحمد أمين وزكي مبارك، وكان لمجلة الثقافة لأحمد أمين، ومجلة الرسالة للأستاذ أحمد حسن الزيات مجال وأي مجال في انتشار المقالة الأدبية وظهور أقلام جديدة من الكتاب.

مراحل تطور فن المقال:

مرت المقالة في سياق تطورها التاريخي بأطوار متعاقبة يمكن تلخيصها فيما يأتي:

الطور الأول: يمثله كتاب الصحف الرسمية ويمتد حتى الثورة العرابية ومن أشهر الكتاب الذين شاركوا في تحرير صحف هذه الفترة رفاعة الطهطاوي في(الوقائع المصرية)ومحمد أنسي في(روضة الأخبار) وعبد الله أبو السعود في(وادي النيل). وقد ظهرت المقالة على أيديهم بصورة يغلب عليها عنصر الصنعة اللفظية والزخارف المتكلفة، فكان أسلوبها أقرب إلى أساليب عصر الانحطاط، وكان شأن السياسية هو الموضوع الأول لهذه المقالات ومع اهتمام الكتاب أحيانا بالموضوعات الاجتماعية والتعليمية.

الطور الثاني: ظهر في هذا الطور المقال الإصلاحي بتأثير من دعوة جمال الدين الأفغاني بروحها الثورية وتوجهها الإصلاحي، ومعه محمد عبده في(العروة الوثقى) ومن كتاب هذا الطور أديب إسحاق وعبد الله نديم وإبراهيم المويلحي وعبد الرحمن الكواكبي، وقد تحررت هذه المدرسة من قيود السجع إلى حد بعيد، ومن أهم الصحف التي كتبوا فيها الأهرام المصرية.

الطور الثالث: تميز بظهور الصحف الحديثة التي تمثل طلائع التجديد في المدرسة الصحفية إبان الاحتلال الانجليزي حيث أخذت تخاطب الناس في شؤونهم الوطنية، ومن روادها مصطفى كامل والشاعر خليل مطران ولطفي السيد.

الطور الرابع: ويبدأ بقيام الحرب العالمية الأولى وما تلاها من أحداث عرفها العالم العربي وقد صدرت صحف عديدة تركت أثرها في الحياة الأدبية بعامة وفي المقالة بخاصة، فظهرت جريدة السفور1915والاستقلال1921 والسياسة1922 التي أسسها محمد حسين هيكل و(الأسبوع)لإبراهيم المازني 1925 وتميزت أسلوبيا بتركيزها ودقتها، ولذا يذهب

الدارسون إلى القول بارتباط تاريخ المقالة في الأدب العربي الحديث بالصحافة، فنشأت في أحضانها واستمدت منها الحياة منذ ظهورها وخدمت أغراضها المختلفة، وحملت إلى قرائها آراء محرريها وكتابها.

أنواع المقالة وأساليبها :

تعددت المجالات الثقافية والأدبية نتيجة التقدم الثقافي والوعي الصحفي والتطور الأدبي، الذي كان من مظاهره تعدد ألوان المقالات فكان منها المقالة الأدبية التي تدرس شخصية أو ظاهرة أو اتجاها أو أثرا في الأدب العربي القديم أو الحديث أو في الأدب الأوربي وكان منها المقالة النقدية التي تحدد قيمة من قيم النقد أو مبادئه.كما كان منها المقالة الفلسفية التي تعرف ببعض الفلاسفة أو تشرح بعض نظرياتهم وأفكارهم كما كان منها المقالة التاريخية التي تعرض لعصر مضى أو ثورة سلفت أو شخصية تاريخية.

ومن الأنواع، أيضا، المقالة الاجتماعية بمضامينها المتصلة بالمجتمع وقضاياه وما يتعلق به من أمور سياسية واقتصادية وتعليمية وخلقية، يتناولها الأدباء لا كمتخصصين في السياسة والاقتصاد والتعليم والأخلاق وانما كمثقفين لهم مشاركتهم فيما يدور حولهم، ولهم آراؤهم فيما يتصل بمجتمعهم وذلك أيضا على طريقتهم الفنية.

ومن أنواع المقال التي ظهرت بتأثير من واقع الأمة المتخلف من جهة وواجب الكفاح المسلح ضد المستعمر من جهة أخرى، ما يصطلح عليه بالمقال الإصلاحي الممزوج بنبرة سياسية ومن أمثلته ما ورد في الاستبداد وآثاره، يقول الكواكبي: « ما أشبه المستبد في نسبته إلى رعيته بالوصي الخائن القوي، يتصرف في أموال الأيتام وأنفسهم كما يهوى ما داموا ضعافا قاصرين، فكما أنه ليس من صالح الوصي أن يبلغ الأيتام رشدهم كذلك ليس من غرض المستبد أن تتنور الرعية بالعلم، ولا يخفى على المستبد، مهما كان غبيا، أن لا استعباد ولا اعتساف إلا ما دامت الرعية حمقاء تخبط في ظلام جهل وتيه عماء، فلو كان المستبد طي ا ر لكان خفاشا يصطاد هوام العوام في ظلام الجهل، ولو كان وحشا لكان ابن آوى يتلقف دواجن الحواضر في غشاء الليل ».

المراجع المعتمدة في المحاضرة:

- ناصر بركة: النص الأدبي الحديث.
- علي الأطرش: النص الأدبي الحديث.